شرح كتاب حلية طالب العلم

الشيخ محمد العويد – رحمه الله –

الفصل الأول للعام ١٤٣٨

معهد العلوم الشرعية العالمي
تابع لملتقى طالبات العلم www.t-elm.net

الدرس الرابع

قال المؤلف رحمه الله:

٢٠- نشاط الشيخ في درسه:

ويكون على قدر مدارك الطالب في استماعه، وجمع نفسه، وتفاعل أحاسيسه مع شيخه في درسه؛ فلا تكن وسيلة قطع لعلمه بالكسل والفتور والاتكاء وانصراف الذهن وفتوره.

الشرح: بعض الطلاب يكون سبباً في انتعاش الدرس، وكم من عالم شهره طلابه؛ بل وبعض الطلاب يرفع من همة شيخه بانتباهه وجودة أسئلته ومشاركته.

والبعض يصيب شيخه بالإحباط والبرود، رغم أن الشيخ لا ينبغي له التأثر بتلاميذه؛ بل هو المؤثر فيهم، لكن من طبع الإنسان أن يتأثر ممن يكثر الجلوس معه.

قال المؤلف رحمه الله:

٢١- الكتابة عن الشيخ حال الدرس والمذاكرة:

وهي تختلف من شيخ إلى آخر، ولها آداب وشروط.. أما الآداب فينبغي لك أن تعلم شيخك أنك ستكتب أو كتبت ما سمعته مذاكرة؛ أما الشرط فتشير إلى أنك كتبته من سماعه من درسه.

معهد العلوم الشرعية

الشرح: تختلف طرق شرح المشايخ باختلاف رؤيتهم، وتتحقق الفائدة للطالب إذا تعرف على الطريقة المثلى لمتابعة شيخه، فبعض المشايخ يشرح في متن ولا يعطي طلابه مذكرة فيها شرحه، فعلى الطلاب في هذه الحالة أن يتابعوا معه بالكتابة، أما إذا كان يخرج لهم مذكرة بشرحه فالتنبه لكلامه ومتابعته أفضل من الكتابة.

وكل شيخ وطريقته، وإن كان الأفضل أن يكون مصدر تثبيت المعلومة متعدداً، بأن يخرج لهم مذكرة ويطالبهم بالمناقشة ومتابعة المكتوب.

قال المؤلف رحمه الله:

٢٢- التلقي من المبتدع:

احذر [أبا جهل] المبتدع، الذي مسه زيغ العقيدة وغشيته سحب الخرافة يحكم الهوى ويسميه العقل، ويعدل عن النص ويستمسك بالضعيف، ويبعد عن الصحيح، ولقد بلغ السلف مبلغًا في التحذير من المبتدعة فكانوا رحمهم الله يحتسبون الاستخفاف بهم وتحقيرهم ورفض المبتدع وبدعته؛ بل يحذرون من مخالطهتم ومشاورتهم ومؤاكلتهم، وكان منهم من لا يصلي على جنازة مبتدع فينصرف، ومنهم من ينهى عن الصلاة خلفهم وينهى عن حكاية بدعهم؛ لأن القلوب ضعيفة والشبه خطافة؛ بل كانوا يطرودنهم من مجالسهم كما في قصة الإمام مالك مع من سأله عن كيفية الاستواء.

وأخبار السلف متكاثرة في النفرة من المبتدعة وهجرهم؛ حذرًا من شرهم وتحجيمًا لانتشار بدعهم وكسرًا لنفوسهم؛ حتى تضعف عن نشر الشر، ولأن معاشرة السني للمبتدع تزكية له لدى المبتدئ والعامي، وقد كان ابن المبارك رحمه الله يسمي المبتدعة [الأصاغر]، ويقال لهم أيضًا: أهل الشبهات وأهل الأهواء.

فإن كنت في السعة والاختيار فلا تأخذ عن مبتدع: رافضي، أو خارجي، أو مرجي، أو قدري، أو قبوري؛ فإنك لن تبلغ مبلغ الرجال صحيح العقد في الدين متين الاتصال بالله صحيح النظر تقفو الأثر- إلا بهجر المبتدعة وبدعهم؛ وأما إن كنت في دراسة نظامية لا خيار لك فاحذر منه مع الاستعاذة من شره باليقظة من دسائسه على حد قولهم: «اجن الثمار وألق الخشب في النار». والأمر في هجر المبتدع يبنى على مراعاة المصالح وتكثيرها، ودفع المفاسد وتقليلها، وعلى هذا تتنزل المشروعية كما حرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مواضع.

الشرح: فيه مسائل

رواية المبتدعة فيها خلاف بين العلماء بين قبولها وردها

فمن العلماء من ردها مطلقاً وهو مذهب مالك رحمه الله

ومنهم من قال بالتفصيل، فإن كانت البدعة صغرى قبلت وإن كانت كبرى كالرفض ردت، وهو رأي الذهبي رحمه الله

ومنهم من يفرق بين من يدعو إلى بدعته فيرد روايته وبين من لا يدعو إلى بدعته فيقبل روايته وهو مذهب أحمد رحمه الله

هجران أهل البدع: قال ابن عثيمين رحمه الله في شرح لمعة الاعتقاد ص:١١٠

"والمراد بهجران أهل البدع !الابتعاد عنهم وترك محبتهم، وموالاتهم والسلام عليهم وزيارتهم وعيادتهم ونحو ذلك، وهجران أهل البدع واجب لقوله تعالى: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) ولأن النبي صلى الله عليه وسلم هجر كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلفوا عن غزوة تبوك".

وقال البيهقي وهو يتحدث عن الشافعي:

"وكان الشافعي – رضي الله عنه – شديداً على أهل الإلحاد وأهل البدع مجاهراً ببغضهم وهجرهم" مناقب الشافعي (٤٦٩/١) .

وروى مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن سيرين أنه قال: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

وقال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى ج٢٠/ ١٠٣: الوجه السابع إن أهل البدع شر من أهل المعاصي الشهوانية بالسنة والإجماع فإن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتال الخوارج ونهى عن قتال أئمة الظلم {وقال في الذي يشرب الخمر : لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله} " {وقال في ذي الخويصرة : يخرج من ضئضئ هذا أقوام يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين – وفي رواية من الإسلام – كما يمرق السهم من الرمية يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة}" .

ولذا فلا ينبغي الأخذ عمن يشتهر ببدعة أو كان معتنقاً لبعض الخرافات، فلا يؤخذ إلا عن علماء السنة الموثوقين.

قال المؤلف رحمه الله:

رابعًا: آدابُ الزمالة

٢٣- احذر قرين السوء:

إذ إن الطبيعة نقالة والطباع سراقة والصاحب ساحب، والناس مجبولون على التشبه بعضهم ببعض، وعليه فتخير من يعينك على مطلبك ويقربك إلى ربك ويوافقك على شريف غرضك ومقصدك؛ فإن الصديق أقسام: صديق منفعة، وصديق لذة، وصديق فضيلةٍ؛ فالأولان منقطعان بانقطاع موجبهما؛ أما الثالث فالتعويل عليه، وهو الذي باعث صداقته تبادل الاعتقاد في رسوخ الفضائل لدى كل منهما، وهذا النوع عملة صعبة يعز الحصول عليها، وفي ذلك يقول هشام بن عبد الملك: «ما بقي من لذات الدنيا شيء إلا أخ أرفع مؤونة التحفظ بيني وبينه».

الشرح: الجليس يؤثر فيمن يجلس معه، ولا يمكن للجليس إلا أن يخرج بأثر، وقد ثبت في الصحيحين عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً"

وتأثير الجليس قد يصل إلى الدين، وقد ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ" رواه أحمد

وقال الله تعالى في سورة الصافات: {٤٩} فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ{٥٠} قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ{٥١} يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنْ الْمُصَدِّقِينَ{٥٢} أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ{٥٣} قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ{٥٤} فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاء الْجَحِيمِ{٥٥} قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ{٥٦} وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ{٥٧} أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ{٥٨} إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ{٥٩}.

ولذا فنصيحة النبي صلى الله عليه وسلم بصحبة المؤمنين، فقد ثبت عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ» رواه أبو داود والترمذي.

وصحبة الصالحين تثمر صلاحاً وهداية للقلب، وأعظمها ما كان في سبيل العلم، وقد ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ " رواه مسلم.

وثبت في صحيح مسلم عَنِ الْأَغَرِّ أَبِي مُسْلِمٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»

وصحبة العلم والطلب لا تؤتي ثمارها إلا بمصاحبة أهل الصلاح، ومن يحبون العلم.

وأسوأ صحبة في الدنيا صحبة الشيطان وأعوانه، وقد قال الله تعالى: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }إبراهيم٢٢.

وقال سبحانه في سورة النساء: {١١٥} إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً{١١٦} إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً{١١٧} لَّعَنَهُ اللّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً

مَّفْرُوضاً{١١٨} وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً{١١٩} يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً{١٢٠} أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً{١٢١}.

يوم الإثنين ٧\ صفر \ ١٤٣٨ هـ الموافق ٧\١١\ ٢٠١٦م